الشباب والانترنيت. مواقع الحوار الالكتروني
فضاءات لتأسيس هويات جديدة

أ/ العرباوي عمر،
قسم علم الاجتماع،
المركز الجامعي لمعسكر

تعرف الألفية الجديدة حركية واسعة في مجال وسائل الاتصال خاصة الاتصال الرقمي الذي غزى العديد من القطاعات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، مستفيدا من النقلة النوعية التي عرفتها وسائل الاتصال التي حولت العالم إلى قرية صغيرة. ساهمت العولمة الاقتصادية والسياسية والثقافية في تقريب الشعوب والمجتمعات اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا على الرغم من النمو المتسارع لفكرة التصادم بين الشرق والغرب وبعبارة أصح العالم الإسلامي والعالم الغربي. هذا الصراع الذي يتجه نحو التأزم أكثر من خلال أحداث قديمة أو حديثة مثل أزمة الشرق الأوسط، الأزمة النووية الإيرانية، الحرب على الإرهاب،الإساءة إلى الرسول محمد عليه الصلاة والسلام في الإعلام الغربي، والرد الرسمي والجماهيري المندد والرافض والذي أخذ شكلا عنيفا في العديد من العواصم. وأعاد النقاش من جديد لفكرة حوار الحضارات والديانات. والرفض للترويج لمفاهيم الصراع الحضاري وذلك بتشجيع الاتصال والحوار بين شعوب وخاصة بين العالم الإسلامي والعالم الغربي مع تعدد قنوات الاتصال السياسية والإعلامية وبروز التكتلات السياسية والاقتصادية والثقافية ومشاريع الشراكة الاقتصادية والاجتماعية ومعاهدات الصداقة والتعاون الدولي.

نظرا لتعدد قنوات الاتصال في الآونة الأخيرة، برزت شبكة الانترنيت وغزت العديد من القطاعات الاقتصادية والإجتماعية و الثقافية وعرفت هجرة جماعية للكثير من الفئات الاجتماعية وخاصة فئة الشباب الذي استهوته مؤثرات الصورة والصوت وسهولة العبور إلى مختلف مواقع البحث والدردشة،حيث أتاحت له إمكانية الحوار المباشر وبناء علاقات جديدة وفق قيم ومعايير جديدة، كما فتحت له مجالات رحبة للإطلاع على ثقافات وقيم وممارسات شعوب أخرى، أكثر من ذلك عبدت له هذه التقنية الجديدة الطريق إلى ممارسة الكثير من العلاقات الحميمية بعيدا عن رقابة الأسرة والرفاق و قهر المجتمع المحلي.من خلال الاحتكاك المباشر بمجموعة من الطابوهات كالجنس،المرأة، العنف،السياسة، التدين....إلخ،خاصة مع تعدد المواقع التي تحاول إشباع فضول الشباب،مما دفع هذا الأخيرللإنخراط بشكل مكثف مع الاستخدامات المتعددة للإنترنت،إما عن طريق الحوار الإلكتروني مع الأفراد من بيئات ثُقافية واجتماعية

مختلفة أو زيارة العناوين الإلكترونية للإطلاع والاكتشاف أو للتسلية أو التعارف أو العمل أو الهجرة.

بعيدا عن ضرورات الإنترنت للإطلاع على جديد المعرفة والتقنيات والمفاهيم عند الشباب، يجب التأكيد على أن علم الإنترنت ومختلف الفضاءات السيبيرية تحمل الكثير من المفاهيم والممارسات والقيم الثقافية والاجتماعية الغريبة عن قيمنا الدينية وموروثاالثقافي، بحيث شجعت التقنية الرقمية على استهلاك تصورات ومفاهيم وقيم جديدة أعادت بناء وتشكيل الكثير من سلوكات وممارسات الشباب. ففي زمن الرقمية وثقافة الصورة تم إضعاف العمل بنظام التخاطب التقليدي عبر الصوت والكلمة وعبر الكتب والصحف والمجلات وصولا إلى المدارس والجامعات والذي أصبح يمس الأمن الثقافي ومكونات الهوية المحلية والبنية الثقافية والأخلاقية للمجتمع.أكثر من ذلك استطاعت شبكة الإنترنت أن تحدث تغييرا جذريا على الكثير من المفاهيم والممارسات الاجتماعية والثقافية والدينية مثل: السيادة، الثقافة، الترفيه، الخدمات والعمل والمراسلة والتعارف والصداقة وعرف الزواج، حيث أصبحنا اليوم أمام الزواج الافتراضي، الحب الافتراضي، الفتاوى الافتراضية....إلخ.يقول الأستاذ سعيد بومعيز "إذا تحدثنا عن شبكة الشبكات الإنترنت التي بدأت بعض الدراسات تشير إلى أثرها على المجتمعات الغربية و العربية والتي ستحدث في المستقبل، تغييرا جذريا على بعض المفاهيم التي ألفناها مثل: السيادة، الثقافة، الترفيه، الخدمات والعمل والمراسلة والتعارف والصداقة وعرف الزواج....."(بومعيزة.س1996 : 200- 2001).

تعدد قنوات الاتصال الإعلامية في الألفية الجديدة. ساهمت في التمكين لثقافة الحوار والاتصال خاصة عند الشباب الذي استطاع أن ينسج شبكة من العلاقات الجديدة مع وسائل الإعلام على رأسه شبكة الإنترنت. خاصة مواقع الحوار الالكتروني. تملك الشباب لهذه التقنية جعلها أداة ومسرحا للهجرة المكثفة لقطاعات الواقع إلى العالم الاحترافي والتي تعتبر مظهرا لاتصال الاجتماعيذلك أن الاتصال هو فعل اجتماعي يؤدي إلى تحقيق التكامل والتشابه الثقافي على المستوى الاجتماعي، داخل البنيات الاجتماعية المختلفة كالأسرة، المدرسة، الشارع، الرفاق، العمل إضافة إلى البنيات الافتراضية الناشئة عن الفضاءات العمومية الجديدة المتمثلة في قاعات ومقاهي الإنترنت، فحينما نتعرض للأبعاد الاجتماعية للاتصال لا يمكن أن نغفل وقع الاتصال على الشباب وعلاقاتهم الاجتماعية من حيث كونهم يلعبون أدوارا إجتاعية ويحتلون مكانة إجتماعية معينة فالفرد والمجتمع لايسطيع الحياة دون إتصال حيث أكد جورج هربرت ميد على "أن عملية الإتصال لايمكن أن تقوم و تحدث في حد ذاتها ولكنها تحدث كإفتراض مبدئي

للعملية الإجتماعية وفي مقابل ذلك تعد العملية الإجتماعية إفتراضا مبدئيا للإتصال الممكن "(عودة.م.1988: 61) وقد أكد علماء الإجتماع أن الاتصالات الجماعية واقعية كانت أو إفتراضية تؤثر في قيم وممارسات وإتجاهات اولائك الذين يتعرضون لها.

انطلاقا من دراسة ميدانية أجريت سنة 2003 بجامعة وهران حول تملك الشباب الجزائري لمواقع الحوار الإلكتروني،مقاربة أنثروبولوجية للتصورات والممارسات في الفضاء السيبيري تحت إشراف الأستاذ جمال الدين غريد في إطار مشروع للدراسات ما بعد التدرج ماجستير حول أنثروبولوجيا الجزائر المعاصرة قمنا نحن طلبة ما بعد التدرج بتحقيق ميداني في مجموعة من مقاهي الإنترنت بمدينة وهران شمل في المرحلة الأولى عينة من الشباب قدرت ب150 شاب وجهت لهم استمارة بحث،ليتم في مرحلة ثانية إختيارعينة متكونة من80 شاب من المجموعة الأولى تتميز بخاصية المداومة اليومية لمواقع الحوار الإلكتروني لإجراء مجموعة من المقابلات وتوظيف التقنيات الأنثروبولوجية خاصة الملاحظة المباشرة،بهدف المعايشة اليومية لمختلف الممارسات والتأويلات التي يقدمها الشباب الجزائري حول الحوار الإلكتروني عبر الفضاء السيبيري.(بن صالح.ب.2004).

حاولت الدراسة الإجابة عن مجموعة من التساؤلات المعرفية حول قدرة الشباب الجزائري في الاستجابة لحركة التغيير التي جرفتها العولمة الإعلامية والثقافية على الكثير من تصورات وممارسات الشباب الجزائري،هذه التساؤلات تمثلت في: لماذا يتملك الشباب الإنترنت خاصة مواقع الحوار الإلكتروني وماهي تصوراتهم لهذه التقنية الإتصالية؟.على أي أساس تتشكل المجموعات الحوارية؟. وبماذا تتميز هذه العلاقات في الفضاء السيبيري؟.ماهي أشكال التصرف اللساني والإتصالي المستعملة لدى ممارسي الحوار الإلكتروني؟.كيف تتكون الجماعة الافتراضية في الفضاء السيبيري؟.وماهي العوامل المساعدة؟. ولقد تم توظيف مجموعة من الفرضيات على النحو التالي:

- يعد الفضاء الإلكتروني مكانا مسكونا من طرف الشباب المتملكين لمواقع الحوار الإلكتروني والتي تخلق مظهرا جديدا للاتصال الاجتماعي.
- تتميز العلاقات عبر الحوار الإلكتروني بالأنس والطابع المجهول التي تنظم أشكال الممارسات الحوارية عبر الكتابة والنص الإلكتروني.
- إن إطار فضاء/ زمان Spacio-temporel لاتصال الإلكتروني تنتج عنه تفاعلات لسانية رمزية مابين المشاركين في الحوار الذين يتكونون كجماعة افتراضية متقاسمين هذا الفضاء المشترك

التركيز على مجتمع الشباب وتفاعله مع مواقع الحوار الالكتروني ينطلق من أن الشباب استطاع أن يمتلك الأدوات والوسائل التقنية الحداثية في عصر العولمة والحداثة أو

ما بعد الحداثة. هذا المجتمع الذي يعد الأكثر قابلية واستعداد للتفاعل مع الحداثة والأكثر قدرة على ممارستها. إن تحليلنا لظاهرة الشباب والإنترنت في الألفية الجديدة تتداخل فيه عدة معطيات بحيث لا يمكن الحديث عن الشباب سنوات السبعينات أو الثمانينات بالمفهوم السوسيولوجي، بما أن المفهوم يحمل معه العديد من الرواسب التاريخية والثقافية التي لم تعد تملك سلطتها على الشباب المقبل على الألفيةالجديدة المتسمة بالرقميةفالشباب هو ظاهرة أنية للمجتمع الجزائري الذي يعرف تجددا مستمرا في الانتظارات والمواقف والطقوس والممارسات اليومية الحاملة لأشكال جديدة ومتجددة من الخطابات التي تبين لنا القفزة النوعية التي يعيشها الشباب في زمن الانترنت والواقع الافتراضي المعاش ضمن مواقع الحوار الالكتروني، المنتج والمؤسس لهوية جديدة للشباب. تسعى إلى تحييد الهويات المحلية والتمكين لهوية جديدة يتقاسمها المشاركين في مواقع الحوار الالكتروني عبر شبكة الانترنت، يقول أحد الشباب:" الشيوخ والنساء لهم الضريح والولي الذين يتوجهون إليه كل صباح، ونحن الشباب لنا مركزنا الجديد وضريحنا الخاص الذي يكرمنا كل يوم بالجديد ألا وهوالأنترنت هذا المكان المقدس "، ويصرح شاب آخر: " لقد تشكلنا كوحدة موحدة، نحن نشكل المركز القوي في الإنترنت، الشباب هم الذين يتواجدون في الدردشة، وليس الشيوخ أو الكهلة، إننا مازلنا نتزايد ونتكاثر حتى نقيم جمهورية الشباب على الإنترنت"، فالمشاركة في مجموعات الحوار الالكتروني تتقاسم كل العناصر التي تبنى عليها الظاهرة الاجتماعية بإدخال المعايير والضوابط التي يجب أن يتجلى بها ممارس الانترنت. منتجة بذلك معايير اجتماعية وفضاءات رمزية تتحكم وتوجه المستعملين. فالنص الالكتروني المتموقع الآن داخل وسائل الاتصال الجديدة يجسد اليوم أداة ثورية فاعلة تؤثر بعمق على العمليات العقلية العليا للإنسان وتجلياتها. يقول أحد الشباب:" لايمكن لكل الشباب أن يمارسوا الإنترنت بكل تقنياته،يجب على الأقل معرفة الأشكال الأولية والقواعد المؤسسة للمعلوماتية، إذن العلم والتعلم له أساسياته وقوته"، ويقول شاب آخر:" في الحقيقة تقنية الانترنت معروفة بموضوعها الكبير والمتشعب،فنحن اخترنا موضوعنا (Tchatche) لكي نصقل معارفنا وتصوراتنا بداخل هذا الفضاء، هذا الأخير كمكان لتجاربنا وعلاقاتنا ".

يتحدث "ميشال مافيسولي"M. Maffesoli" "حول ميلاد عالم واسع الخيال يخترق الإنسان الصورة فالخيال أو المتخيل والرمزي اللامادي تبشر بظهور أشكال جديدة لعمليات الاتصالية بين الأفراد" (1993. M. Maffesoli) عن طريق الحوار المباشر بواسطة الحاسب جاعلة الإنترنت عامل لنشر مجموعة من الأفكار والرؤى التي تدخل الممارسين في سياقات غير متناهية من المعلومات فالصورة والنص عنصران أوليان لتلاحم

المجتمع الافتراضي، الشباب ومواقع الحوار الإلكتروني كموضوع للدراسة مبني وفق فعل للتأويل والتفسير لمختلف الرمزيات الفردانية والجماعية لعملية التبادل والتفاعل الحر عبر المعطيات المقروءة التي تحمل العديد من الدلالات والمعاني الرمزية لهذه الظاهرة التي بدأت ترسي قواعدها ضمن السياقات الجديدة للتواصل والاتصال عن طريق شبكة الإنترنت. في الفضاء السيبيري تلغى هوية الفرد المحلية. فكل فرد مرسل ومستقبل في فضاء متميز بفعل الأسماء والهوايات المتنقلة التي تلغي الهوية الفردية وتعيد تشكيل هوية جديدة فالوجود الجماعي والفردي ليس في الفضاء الجغرافي أو الزماني أو الاجتماعي بل هذا الوجود مبني حول مراكز المنفعة أو المعنى أو المعرفة ذلك أن الشباب في تملك وممارسة تقنية الحوار الإلكتروني والإبحار في صفحات الإنترنت ينسج علاقات متداخلة مع الآخر ويتفاعل معها. ويتأثر بها انطلاقا من ارتباطه بحياة جديدة مع المحيط الافتراضي الذي يمارس عليه قهرا يذوب في هذا المحيط الافتراضي الذي يخلق الإنسان التكافلي حسب Joel de Rosnay فالرابط الاجتماعي داخل هذا المحيط الافتراضي هو رابط انفعالي عاطفي والذي يهيأ طريقة للوجود والتعايش تكون مقبولة من جميع الممارسين للحوار الإلكتروني وتعبد الطريق لبروز معايير محددة للجماعات الافتراضية والتي نعتبرها معاملات أخلاقية وجمالية لروابط الاتصالية.

الفضاء السيبيري المتسم في جمهوره بعدم المادية يتحول إلى موضوع لفعل العيش والتصرف في الأساطير الواقعة "فمنذ أكثر من ثلاثين عاما جري الحديث عن الواقع الخيالي أوالصوري أو الوهمي،بنظر الجمهور العريض الواقع الخيالي هو اليوم مرادف لقبعة الرؤية وقفازات المعطيات التي تغرق رائد الفضاء في عالم آخر،عالم افتراضي،إن التقدم المنجز في تصوير المرئيات والصوتيات أصبح يمكن من إظهار بعض الأفعال أو التحركات التي كانت مستحيلة وكأنها واقعية "(فرنسوا لسلي.2001:46) ويكون الدخول إلى هذا الفضاء الأسطوري الواقعي عن طريق اتباع هذه الممارسات والقيام بالطقوس الاتصالية السريعة والمباشرة عن طريق الدردشة الإلكترونية داخل الجماعات الافتراضية. فالوضعية الاجتماعية. المكان الجغرافي، العرق، الجنس، الدين، ليست أشكال المرجعية التي تبنى وتؤسس عليها هذه الجماعات بل ترجع إلى الشحنة العاطفية المولدة لمجموعة من الانفعالات الفردية والجماعية هي القطب المؤسس والمحدد للاختيار الجماعي والمعبر عن الانتماء إلى الجماعات الافتراضية. الهوية داخل هذا المجال الافتراضي للاتصال ليست مفروضة بل هي مبنية وشخصية بوعي أو بدون وعي يمكن أن تتغير باستمرار حيث نشهد باستمرار انزلاق الهوية نحو منطلق الانتماء للمكان والجماعة الافتراضية هذه الأخيرة داخل الفضاء السيبيري تدخل في تفاعل إيجابي بهدف

الوصول إلى إنتاج أهداف خاصة أو من أجل طرح أشياء وبدائل مشتركة منفعة موحدة لأفراد الجماعة الافتراضية، يقول أحد الشباب:" في الحقيقة لما نأتي إلى هذا المكان، لا نحس بأننا وحدنا كما يمكن لك أن تتصور، نحن جماعة تجمعنا أحاسيس موحدة، ونتبادل نفس الطموحات، فالإنترنت وخاصة الدردشة، تخرجنا من قوقعتنا إلى مجال آخر، أين لا يوجد من يبغضك إن لم تبغضه بكلامك الخشن، الحياة في هذا المكان تغمره المحبة والبحث عمن يحبنا، هذا العالم الافتراضي أدخلنا في عالم شبه واقعي، إنه مكاننا والزمن زمامنا وكل شيء فيه هو ملكنا الخاص "، هذا المنظور للتفاعل ما بين الفاعلين الشباب داخل الفضاءات التي يخلقها الحوار الإلكتروني يساهم في بلورة وتكوين المخيال الجماعي الموحد للمجتمع الافتراضي المشترك بين الجماعة الشبانية على غرار الواقع الاجتماعي بكل إكراهاتها المعايشة خارج هذا الفضاء.

الفضاء الافتراضي يمكن الشباب الممارس للحوار الالكتروني من بناء البيت على المقاس وبكل حرية وينمي عنده الإحساس بالتملك لهذا الفضاء يعيش ضمن الطقوس الاتصالية الافتراضية الوجود الرمزي، يعيشون في تفاعل قريب وبعيد عبر الشبكات الاتصالية تترك الفاعلين أحرار بمثابة تلك القبائل الرحالة عبر الزمان والمكان أملا في إيجاد البيت الملائم المعمور بالحب والإحساس المتبادل ما بين الأعضاء على اعتبار أن الفضاء السيبيري يقدم البوح أمام الشباب بدون الخوف من تبعات الواقع الاجتماعي المعاش الذي فرض عليهم سوط الرقابة في الحلم والممارسة هذه الرقابة التي خلقتها القيم الأخلاقية والأعراف الاجتماعية وخصوصيات المجتمع الجزائري الثقافية والاجتماعية،يقول أحد الشباب: " نحن نعيش حياة يومية صعبة جدا،ليست صعبة من الجانب المادي المالي بل صعبة في الاتصال مع المجتمع، نحن مهمشون، وهنا الإنترنت أخذنا بجواره،فنحن نحب تلك الإكراهات التقنية على أن نعيش مع أناس لا يهتمون بنا " ويصرح شاب آخر: " فالحوارهوالمنبع الوحيد للهروب من جهنم الصباح وإكراهات الأسرة،نحن شباب شبه ضائعين،نحن ندرس حقيقة، لكن ماذا ندرس،مشاكل في البيت وفي الدراسة ولا أحد يفهمك، إذن نهرب إلى مكاننا المحبوب " هذا الفضاء الافتراضي يعطي الشباب هامشا للحرية وتربة خصبة لفتح النقاش حول مواضيع الهوية – السياسة – التدين- الجنس- الهجرة- الحرية- الحب والزواج والتي تعد من الطابوهات داخل المجتمع الجزائري على الرغم من التحولات والتغيرات الاجتماعية السياسية والاقتصادية والثقافية التي يعرفها المجتمع الجزائري في السنوات الأخيرة هذا الفضاء هو المجال الذي يوفر للشباب ممارسة الأشياء الحميمية الخاصة به داخل تفاعل اتصالي مع الجماعات الافتراضية. يقول أحد الشباب: "هنا في الحوار الإلكتروني سوف

تعرف أناس من الداخل،من غير أن تركز على الجانب الفيزيائي، الناس عفويين، لدي أصدقاء وعلاقات مع الذين أتقاسم معهم حياتي وطموحاتي وأفكاري ومعتقداتي،هذه المعطيات لا أتقاسمها مع أهلي وعائلتي لأنني هنا مجهول أتمكن من تفريغ كل ما في جعبتي..".

لكي نفهم هذا المجتمع الافتراضي الذي يعيشه الشباب اليوم لا يتم إلا من خلال تحليل الكلمات والألفاظ والرموز الجديدة التي نتجت عن هذا العالم الافتراضي وأصبحت موضة هذا الأخير، الشباب اليوم أصبح يملك قواسم مشتركة في اللغة الاتصالية فكلمة Surfer بين الشباب هي تعبير عن التزلج ما بين صفحات الإنترنت كبحر ومحيط من المعلومات، إنهم يتزلجون ويبحرون من بلد ومن لغة إلى أخرى ومن تبرير إلى آخر بدون أن يكونوا في مكان محدد أو في مجال معروف.

الحوار الإلكتروني باعتباره وسيلة اتصال تفاعلية تمكن من تقديم إمكانية لبناء الشخصيات الفاعلة داخل هذه الجماعات الافتراضية بحيث تقدم صفحات "الويب"والتي هي "بنوك تحتوي معلومات معينة(نص،صورة،فيديو..إخ) وتقيم في مراكز بث معينة تتصل فيما بينها"(فرنسوا لسلي2001:14) مجالات متعددة لعملية التثاقف والتماثل بما تقدمه لممارس الدردشة من فرص الاندماج ضمن هذه القبائل الجديدة المكونة لهذا الفضاء الثقافي الافتراضي الجديد. إن الافتراض يفقد حياديته ما أن يبارح صمته الخاص ويشرع في عرض منطوقا،متداخلا دائما في دعم عبارات سواه، فإن نظام الاستعلام الفوري (الانترنيت) "لا يطرح نفسه موضوعا للرفض أو القبول، إذ سرعان ما يشتغل الناس بتأدية مكتسباته،إنه نظام تقني في الأساس يعتمد على النقل الإلكتروني للصوت والصورة والكلمة، بما يشبه الضوء إنه يمنح المعلومة حضورا فوريا تحت الطلب، لكن أحدا لا يتساءل عما يمكن أن يحجبه، هذا النظام نفسه، خاصة عندما تسيطر علي مراكز بثه الرئيسية الاحتكارات الإعلامية الاقتصادية السياسية،أليس نظام الإنترنت هو العدة القصوى التي تحتاجها واحديه السلطنة لتعميم إنتشاريتها تحت غلاف العولمة " (مطالع الصفدي. 2007: 26).

تملك الشباب لهذه التكنولوجيا الجديدة خلق منهم مجتمع متكافل ومترابط في أحاسيسهم وانفعالاتهم وساعدهم على تحويل حياتهم من واقع إلى آخر وأعطاها صبغة جمالية بتحولها إلى "صبغة فنية" هذه التقنية الاتصالية الحداثية جعلت الزمن الواقعي زمنا سحريا أسطوريا حيث تمكن الممارس لتقنية الدردشة الإلكترونية في هذا البعد الزمني الجديد من خلق مجموعة من السمات التي تعطي المصداقية والقوة للزمن الأسطوري فالوقت قابل لانعكاس دائري يمكن أن نتحكم فيه بالخطابات أو بالصور

الخادعة.،شبكة الإنترنت تقدم للشباب الممارس للحوار الالكتروني تصور مغاير للوقت كما تقدم الشاشة للحاسوب المميزات الأسطورية للعالم المتخيل الافتراضي عن الفاعلين الشباب بحيث يتحول الفضاء السيبيري إلى ميدان لتطور الإنسان الجمالي الذي يعطي لفعل الوجود عند الشباب صبغة جمالية.

التكنولوجيا الرقمية استطاعت أن تخترق الفكر الإنساني بشكل واسع واستطاعت أن تؤسس لمعالم ومفاهيم جديدة داخل الفكر الإنساني فهذه التكنولوجيا الرقمية وعلى رأسها الحاسوب والإنترنت تمكنت من الانتقال من فعل للكتابة والحساب وفتح مجال الاتصال وتطويره وتسيير قنواته للجميع إلى المشاركة الفعالة والتأثير في إعادة تغيير العالم وإعادة بناءه وتشكله وتحديد معالمه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والرمزية بحيث "أصبح الاتصال أحد رموز القرن 20م وهدفه الأمثل هو تقريب الناس والثقافات يعوض عن سلبيات عصرنا ،هو أحد محصلات حركة التحرر وقد رافق تطوره المعارك من أجل الحرية وحقوق الإنسان والديمقراطية"(D.Wolton 1997:13) انطلاقا من قدرة شبكة الإنترنت على التقريب بين الأفراد والجماعات وتسهيل ولوجهم إلى العالم الأسطوري الرمزي الذي توفره فضاءات الجماعات الافتراضية.

ممارسة الإنترنت والحوار الإلكتروني ظاهرة اجتماعية جديدة ومعقدة مليئة بالانتظارات والانفعالات هذا الفعل الاجتماعي الجديد خلق بيئة جديدة ومجال متجدد ومشترك بين الجماعات أين يبني الشباب تفردهم تميزهم عن طريق الكتابة الالكترونية باستعمال مجموعة الرموز والمفاتيح التي تحمل المعنى والدلالة والبعد الرمزي،يقول أحد الشباب: " في موقع الدردشة يجب على كل واحد أن يخرج من تموقعه وذلك بإنتاج وتوظيف بعض الرسومات الرمزية وبإرسالها للآخر، هذا الطرف سوف يفسرها حسب معطياته وقدراته " ويصرح شاب أخر " في الدردشة نحن المستعملون،لنا إدراكنا الخاص بنا مع الآخر وبفضل وعينا وتخيلنا له، ندخل في هذا الحوار موظفين تلك التقنية المتاحة لنا في نوع من الفهم للأخر وتحليل معاني الأقوال وشخصيته".

هذا الفعل يتيح داخل الجماعات الافتراضية روابط تتسم بالحميمية والأنس والبحث في المجهول. هذا الفضاء الحداثي أصبح مسكونا من طرف الشباب الباحث عن متنفس لمختلف همومه وتطلعاته. هذا الفضاء أصبح عملية منظمة للحياة الاجتماعية داخل هذا الزمن الذي يمكن تسميته بالزمن الافتراضي، حيث امتزج الخيال، الواقع، الغريب، الخارق، العادي، المرئي ولا مرئي، الشعور ولا الشعور. إنه تحول وانتقال وسفر بين الأشياء والكلمات والمفردات والجمل والرموز المادية وغير المادية، سفر عبر المعاني والصور إلى تحقيق الوجود والذات الفاعلة.،هذا الوجود يخترق المكان ويؤسس لبداية

التفاعل بين المعرفة والحقيقة والمجال، هذا التفاعل لا يتم إلى من خلال الإحساس والإيمان والاعتقاد بهذا المكان و الفضاء الحامل معه للمعاني والتصورات والانتظارات والانفعالات المحركة لهؤلاء الشباب. هذه الفضاءات الجديدة التي أنتجتها التكنولوجيا الإعلامية والمعلوماتية الرقمية تتجه نحو تشكيل عالم جديد وقارة جديدة تساهم في ولادة نص ومعنى يتفاعل من خلاله الإنسان ضمن فضاءات شبكة الاتصال العالمية المتسمة بالحداثةيقول أحد الشباب: " نحن حقا نمثل ماتقوله وتسميه الجماعة الافتراضية، نحن نعيش حياة مشتركة في المشاعر والأعراف، كذلك هنالك رموزا نتقاسمها فيما بيننا،هنا في وهران وفي مرسيليا أو كندا نتساوى في نفس هذا المكان، كذلك هذا الفضاء الحر يوحد طموحاتنا ولا نحس أننا مختلفون عن الآخرين لأن الواقع الافتراضي هوالطاغي والمنفعة الفردية هي التي تساير حياتنا اليومية في هذا الموقع".

الافتراضية على مستوى التصور والممارسة ليست عالما مزيفا أو خياليا بل على العكس من ذلك فهي في العمق تعبير عن ديناميكية العالم العادي والواقع الذي يتقاسم الشباب بفضله ومن خلال فضاءاته المتعددة واقعا معينا مع الآخر يستجيب إلى تحقيق الوجود والذات وتفعيلها كنوع من الانتقام من الواقع الاجتماعي الذي يعيشه الشباب والذي يرى هذا الأخير أنه يعيش فيه الإقصاء والتهميش والضبابية في الهوية والانتساب والعيش والتفكير والإبداع. الفضاء السيبيري هو نص ووجود الإنسان هو نص من بين النصوص الأخرى، فالإنترنت مكان ذو الخصائص الإنسانية والذي يعمل على تشكل بنيات ثقافية متنوعة تنتج مجالات وفضاءات ثقافية تتنوع وتتداخل فيها التصورات والانتظارات حيث يغوص الفاعل الاجتماعي وخاصة الشباب في فضاء سيميولوجي يسمح بالتفكير في واقعه المعاش وواقعه الافتراضي بطريقة غير متعارضة.،تتيح شاشة الحاسوب فضاء حر للكتابة مزودا بمعدات وتقنيات خاصة تساعد الممارس على تغيير مضامين ورموز الكتابة بسرعة كبيرة.كما تتيح له إمكانيات إعادة بناء وتشكيل فضاء الكتابة ونص الكتابة حسب رغبة المستخدم بدون الخوف من إكراهات الرقابة على الكتابة كما يستطيع الممارس الجمع بين الكلمات والمفردات والصور في ذات النص. هذه التقنيات في الكتابة داخل هذه الإضاءات الحرة. تعتبر نقله نوعية في التغير السوسيوثقافي والتقني في تطور الإنسانية وولوجها إلى الألفية الجديدة المعروفة بالحداثة أو ما بعد الحداثة. "كل أقانيم المتخيل كانت قطيعانية مع الواقع،ثم تحتال كثيرا من أجل اختراع جسور الاتصال معه،لكنها تتساقط جميعها في المآل الأخير إلى هاوية الوهم ماعدا الافتراضي القادم حديثا إلى راهنية المصطلح،فقد ينجح في إعادة استثمارية الوهم إلى صميم الممارسة المعرفية وذلك باختزال هذه الممارسة نفسها إلى جاهزية

المعلومة،فالتراجع من حاكمية الحقيقة إلى عقلانية المعرفة،إلى إغراء المعلومة، قد يرفع الحاجزمابين الصواب والضلال تحت ناموس الحقيقة ومابين العلم والجهل تحت ناموس المعرفة".(مطاع صفدي. 2007: 16).

في الأخير يمكن القول أن الحوار الالكتروني بين الشباب أنتج روابط افتراضية بين الذات والأخر بين الشباب الممارس للتقنية والآخر الملتقي. أنتج نموذج جديد للاتصال هو نسق من الاعتقاد والإيمان. حيث أصبح الواقع الافتراضي واقعا أسطوريا والوجود في الفضاءات السيبيرية يشكل لحظة انسلاخ واقعي تمكن الشباب من التعايش والتفاعل مع الصورة والكتابة والرموز التي تحمل دلالات ومعاني الحاجة للتعريف بالهوية والتأسيس لهوية جديدة يشترك فيها الممارسين للحوار الالكتروني. هذا الفضاء العمومي الجديد يساهم في إنتاج طقوس وممارسات جديدة هي نتاج لعملية التثاقف والمثاقفة التي خلقتها هذه الفضاءات العمومية التي احتلت مجالا واسعا في الثقافة الاتصالية للعديد من الشباب.

لقد دخلت البشرية اليوم عصر المجال السمعي البصري والتواصل الفوري مستفيدا من هيمنة النمط التكنولوجي تحركه الآلة،عالم رقمي أثيري تحكمه الصور والإشارات والنصوص المرئية والمقروءة على الشاشات الإلكترونية الدائمة البث مما يهدد منظومات الثقافة والقيم وطرق الحياة المحلية، يقول أحد الشباب: " بالنسبة لي لقد غير الإنترنت طبائع الاتصالات فالآن لسنا مجبرين على أن نتكلم ونحن مرئيين، لكن هناك chat الذي يمثل لي معلما جديدا الذي أدخلنا به هذه الألفية، هناك اختصار في الوقت ونكتب كل ما نريد بكل حرية ولاقيد "،ويصرح شاب آخر: " الإنترنت هو اتصال عن بعد عن طريق الشبكةهوإكتشاف أشياء تخص الآخرين، هو عملية رحلة عبر العالم،هو لعبة مع الذات "، حيث أصبحت الثقافات الخاصة بالشعوب في الجنوب والشرق على اختلافها وتنوعها غير محصنة أمام تلك السيول الجارفة من الرسائل و الإشارات التي تتجول في أرجاء الأرض غير معترفة بالحدود الجغرافية أو الثقافية لا ترتبط بجوازات سفر أو تأشيرات دخول أو خروج مخترقة الزمان والمكان تحمل معها الكثير من الأفكار والقيم والمشاهد المثيرة،مركزة على مجتمع الشباب والمراهقين، هذا الأخير أصبح يشهد دخولا في شبكة من التواصل والتنقلات وصار من الصعب تحديده باعتباره وحدة مادية محصورة في المكان والزمان وهذا فسح المجال لتساؤل "بول فيريليو" "P.Virilio " "هل نحن أمام ابتلاع رهيب للزمان والمكان؟" (P.Virilio. 1998.).

ففي غياب الفعل الثقافي الناجح لسد الثغرات أمام البدائل الأجنبية سلبية كانت أو إيجابية على الساحة الثقافية للمجتمع الجزائري، فإن ظاهرة الاغتراب وفقدان الذات

ستطفو إلى السطح الثقافي المحلي مما يغلق عند الفرد شعورا بالوحدة والخوف،فإدمان الشباب على الإنترنت ساهم في التمكين لمجموعة من الاضطرابات النفسية كالإرهاق، الأرق،القلق، مما يؤثر على العلاقات الاجتماعية والأسرية مثل: إهمال الواجبات الأسرية اتجاه الأزواج والأطفال و يهدد الاستقرار الأسري، كذلك يساهم في ارتفاع حالات الطرد من المدرسة وفقدان الوظائف بسبب التغيب المستمر وارتفاع حالات الانعزال عند الفرد مما ساهم في فقدان التواصل الاجتماعي مع الآخرين. يقول أحد الشباب: " إخترت الدردشة لأنها تمكنني من الكلام بكل حرية حول الجنس، بدون طابوهات وضوابط أجتماعية " ويقول شاب آخر: " فبفعل هذه القدرات للاتصال، فإن الإنسان يمكن أن ينقل من جيل إلى جيل هذه الثقافة،فالانترنت بمفعولها التفاعلي تعبر وتحول القواعد الإجماعية التقليدية وتخلق حاجات جديدة ".

إنه على الرغم من أهمية الإنترنت في خلق وربط علاقات جديدة وتوسيع تنمية المجال الثقافي للفرد ،إلا أنه ساهم في خلخلة علاقات الأفراد الاجتماعية المباشرة مع الأصدقاء والمعارف والأهل إما داخل الأسرة أو خارجها، وهي انعكاسات تمس صحة الفرد النفسية وتماسك المجتمع.

المراجع:

1- مطاع الصفدي.من العقل المحض إلى الفكرالإفتراضي. مجلة الفكر العربي المعاصر.ص04.ص27.بيروت.2007.

2- سعيد بومعيزة الأثر السوسيوثقافي لتكنولوجيات الاتصال الحديثة في الجزائر.المجلة الجزائرية للاتصال. جامعة الجزائر، العدد 14.جويلية 1996.

3- فرنسوا لسلي. نقولاماكاريز.وسائل الاتصال المتعددة. ملتيميديا.ترجمة.فؤاد شاهين.عويدات للنشر. بيروت.لبنان.

4- محمود عودة.أساليب الاتصال والتغير الاجتماعي.دار النهضة العربية.بيروت.لبنان.1988.

5- بن صالح بشير. تملك الشباب الجزائري.فئة الطلبة.لمواقع الحوار الإلكتروني.رسالة ماجستير في الأنتروبولوجيا.جامعة وهران 2004.

6 - Wolton.(d), *Penser la communication*. ed.flammarson.paris.1997.

7 - Virilio.(p).*La machine de vision*.. ed.galilee.paris.1988.

8 -Maffesoli (m): *La contemplation du monde, figures des styles communautaires*. ed: grasset, paris 1993.

9 -Derrick.(k) et Brian.(f): *Technology, mindand bussiness*, traduction de Joel de resnoy, ed. bosh and kinig holland, 1991